مجلة الدراسات الإيرانية

دراسـات وأبحـاث علميـة متخصصـة

مجلة علمية نصف سنوية محكمة تصدر باللغتين العربية والإنجليزية

السنة السابعة – العدد السابع عشر – أبريل 2023م

تصدر عن

RASANAH
المعهد الدولي للدراسات الإيرانية
International Institute for Iranian Studies

الثورة وواقع الأقلِّية اليهودية في إيران بعد عام 1979م

د. حسام كصّاي

رئيس قسم الفكر السياسي بكلية العلوم السياسية-جامعة تكريت

د. وداد بنت عبد الرحمن الجروان القرني

أستاذ مساعد علم الاجتماع السياسي
بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية-جامعة الملك سعود

مقدمـــة

وجدت الأقلِّية اليهودية في إيران نفسها في وضع شديد التعقيد، بعد اندلاع الثورة الإيرانية عام 1979م، حيث تولى الفقهاء السلطة، وكانت قد تجذرت لدى الأغلبية الشعبية هوية معادية للصهيونية العالمية في ظل الخطاب الثوري الذي صعد في إيران منذ مطلع الأربعينيات، والذي تزامن مع إعلان قيام دولة إسرائيل عام 1948م. وبالتالي تحولت وجهة البلاد من الوقوع تحت سلطة نظام علماني مُوالٍ للغرب وحليف لإسرائيل إلى نظام ديني له وجهة نظر مناهضة للإمبريالية والصهيونية، فضلًا عن أنه نظام إقصائي في الداخل غير متصالح مع الأقليات. وإذا كان وضع الأقلية اليهودية أخف وطأة من أوضاع عديد من الأقليات العرقية والمذهبية الأخرى في ظل هذا النظام الجديد، فإنّ اليهود واجهوا وضعًا جعل واحدة من أقدم الأراضي التي سكنوها بيئة طاردة، وغير مواتية لبقاء أغلبيتهم التي سكنت بلاد فارس منذ أكثر من 2700 عام، حتى إنّ معظمهم قد ترك إيران، وما بقي منهم بات حبيسًا بين القيود التي فرضتها الدولة، والإطار الذي سمحت لهم فيه بالحركة، أو التوظيف من أجل خدمة مصالحها والحفاظ على ما تبقى من إرث ديني وثقافي.

تجادل هذه الدراسة بأن الأقلية اليهودية في إيران تأثرت أوضاعها بعد صعود ولاية الفقيه بعد ثورة عام 1979م، وأنها على الرغم من بعض الامتيازات الممنوحة لها فإنها خاضعة لعملية استيعاب من جانب النظام لتبييض وجه هذا النظام وتخفيف الانتقادات الحقوقية له، فضلاً عن استغلالها تارة وتوظيفها تارة أخرى لتخفيف الضغوط الغربية والإسرائيلية عليه. وتعالج الدراسة هذا الجدل من خلال الإجابة عن عدد من الأسئلة، هي: «ما خلفية الوجود اليهودي في إيران قبل الثورة وبعدها؟ وما مدى تأثر هذه الأقلية بصعود ولاية الفقيه عام 1979م بالصراع بين إيران وإسرائيل؟ وإلى أي مدى نجح النظام الإيراني في توظيفها في إطار صراعه مع الغرب وإسرائيل؟».

أولًا: الجذور التاريخية للوجود اليهودي في إيران

بدأت هجرة اليهود الأولى إلى بلاد فارس في عام 741 ق.م، عندما فُتحت مدينة القدس على يد ملك آشور تيجلات بلاسر، إذ خرّب المدينة، وأَسَر ونفى أهلها إلى آشور ومنها إلى بلاد فارس. أما الهجرة الثانية فقد كانت في عام 733 ق.م، في عهد الملك الآشوري شلم نصر الخامس 722–228 ق.م، الذي دمّر مدينة القدس، وقتل أهلها وأَسَر الباقين، وتوجه بهؤلاء الأسرى إلى نهر الخابور في شمال العراق، فتمكنوا من تأسيس إمبراطورية يهودية على سواحل بحر قزوين[1]. وأما الهجرة الثالثة فكانت عام 597 ق.م، بعد استيلاء الكلدانيين بقيادة الملك نبوخذ نصر على القدس وإنهاء حكم مملكة داوود، وأَسْرِهم الآلاف من اليهود ونقلهم إلى بلاد ما بين النهرين (بابل)، ومن بابل انتقل اليهود إلى بلاد فارس.

وقد تمكّن اليهود مع الزمن من التغلغل في المجتمع البابلي الذي نُفوا إليه، واحتلوا مناصب كبيرة في البلاط والدولة هناك، ومارسوا طقوسهم الدينية، وكتبوا في بابل «التلمود البابلي». وفي الفترة البابلية ظهر بين اليهود عدة أنبياء، ومن بينهم النبي ذو الكفل، الذي يقع مرقده حتى الآن في محافظة بابل.

ساعد يهود بابل الملك كورش الكبير أول ملوك فارس (560–529 ق.م) ومؤسس الدولة الأخمينية على احتلال بابل، بعد أن قدّموا له كثيرًا من المعلومات الهامة عن جيش بابل وعن تحصينات المدينة التي سقطت عام 539 ق.م، ولقاء هذه المساعدات اليهودية للدولة الأخمينية، سمح كورش لهم بالعودة إلى فلسطين، إلا أن عديدًا من اليهود اختار البقاء في بلاد فارس[2]، ومن ثم انتشر اليهود من مراكز في بابل إلى مقاطعات ومدن فارسية مثل همدان وشوش وغيرها[3]، حيث كان تعدادهم اثنين وأربعين ألفًا وثلاثمئة وستين شخصًا من بني إسرائيل، وسُمح لهم ببناء معبد في بيت المقدس، فاكتسب الملك كورش محبة اليهود، حتى سار معظم ملوك فارس على سياسته في تعاملهم مع اليهود. وتصاعدت مكانة اليهود في بلاد الفرس، وشغلوا وظائف عالية، وازدادت علاقتهم بالفرس في عهد الملك سابور (310–379 ق.م)، وأخذ اليهود يقدمون الهدايا إلى الحكام، وتعمقت علاقتهم بالفرس، فشاركوهم حروبهم في عهد كسرى الأول[4].

في ظل السلالة الساسانية (226–642م)، نما السكان اليهود في بلاد فارس وانتشروا في بعض أنحاء البلاد، ولكنهم عانوا من الاضطهاد بشكل متقطع، وأدى الغزو الذي قام به العرب المسلمون عام 642م إلى إنهاء حكم الإمبراطورية الفارسية، وجعل الإسلام دين الدولة، وكان لهذا تأثير عميق

في اليهود، إذ تحوّل بعضهم إلى الإسلام لظروف اقتصادية واجتماعية، لكنهم تمتعوا بحقوق واسعة خلال هذه الفترة.

لكن مع قيام الدولة الصفوية (1501–1722م)، حدثت تحولات جوهرية للأقلية اليهودية، إذ تعرضوا كغيرهم من طوائف بلاد فارس للاضطهاد، وأُرغموا على تغييردينهم في إطار حملة التشييع التي قادتها الدولة الصفوية لبلاد فارس، باستثناء فترة حكم الشاه عباس الثاني، إذ توقف في عهده اضطهاد اليهود بشكل مؤقت.

وطوال القرن التاسع عشر، تعرّض اليهود لبعض الاضطهاد والتمييز، لكنهم حظوا مع نهاية حكم القاجار ببعض المكتسبات، منها حق التمثيل في برلمان 1907م، وعندما احتلت بريطانيا إيران عام 1917م قدمت الحماية للأقلية اليهودية، وفي ظل صعود الصهيونية العالمية نما دور اليهود في إيران، وبالتالي تأسست منظمة «الحفاظ على لغة الماضي» التي كانت تقدم نشاطًا صهيونيًّا محضًا، وفي عام 1918م تأسس «الاتحاد الصهيوني ليهود إيران» وتوسعت فروعه في مدن إيران، وفي عام 1919م عُقِد في طهران المؤتمر الصهيوني الأول ليهود إيران، إذ تولى عزيز الله نعيم رئاسة كل المؤسسات الصهيونية في إيران، وقامت الحركة الصهيونية في إيران بنشاط تمثَّل في تأسيس روابط صهيونية مؤثرة في شبيبة الأقلية اليهودية في إيران، مثل جمع تبرعات ومساعدات للمؤسسات الصهيونية لشراء أراضي الفلسطينيين، ونشر اللغة والأدب العبريين، ونشر دوريات ومجلات توعوية، فصدرت مجلة «هجئولاه» (الخلاص) في طهران باللغة الفارسية، وطبع أول وأهم الكتب لتدريس اللغة العبرية في طهران عام 1918م[5]، بالإضافة إلى صدور جريدة يهودية أخرى في طهران باسم «سينا» الناطقة باسم الحركة الصهيونية في طهران[6]، فضلًا عن تأسيس رابطة تدريس اللغة العبرية في مدينة همدان عام 1914م، وشهد العام ذاته تأسيس أول رابطة صهيونية في إيران، وصدرت صحيفة «شالوم» الصهيونية بلغة فارسية وحروف عبرية[7]. وبلا شك ساعدت توجهات الدولة في نمو هذا النشاط اليهودي الصهيوني.

وبعد وصول رضا شاه إلى السلطة 1925م حتى نهاية حكم أسرة بهلوي عام 1979م، كانت البلاد علمانية وموجهة نحو الغرب. وقد أفاد ذلك اليهود الذين تحرروا ولعبوا دورًا مهمًّا في الاقتصاد والحياة الثقافية. ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية، كانت إيران موطنًا مناسبًا لآلاف اللاجئين من يهود أوروبا والعراق والقوقاز وحلم كل لاجئ يهودي ومسيحي بولندي في آسيا الوسطى، وفترة راحة من سنوات الجوع في الاتحاد السوفييتي، إذ إنها أول دولة منذ بداية الحرب العالمية لم تخربها الحرب والجوع والمرض. كما قال الحاخام المولود في وارسو حاييم زئيف هيرتشبرغ: «بالنسبة إليهم... إنها جنة». وإجمالًا يمكن القول إنّ يهود الفرس لعبوا منذ فترة طويلة دورًا نشطًا في الحياة الاجتماعية في إيران، إذ تشارك الجالية في الاحتفالات اليهودية والفارسية على حد سواء، ما يشير إلى فخرهم بتاريخهم ودورهم في الثقافة الإيرانية. ويشار إلى حكم محمد رضا شاه، الملك الذي أطاح به الخميني، بأنه «العصر الذهبي» لليهود الفارسيين، إذ بينما أثار الشاه غضب عديد من الإيرانيين بسبب سياساته الداخلية القمعية واستجابته العنيفة للمعارضة، سمحت إصلاحاته الاقتصادية الجزئية لليهود الفارسيين بالازدهار[8].

ثانيًا: الأقلية اليهودية في إيران وتحولات علاقة إيران بإسرائيل

منذ إعلان قيام دولة إسرائيل، ظهر تحالف قوي بين طهران وتل أبيب، إذ كانت إيران دولة مهمة في استراتيجة الأطراف التي طورها رئيس الوزراء الإسرائيلي ديفيد بن غوريون تحت عقيدة المحيط في الخمسينيات، وهي العقيدة التي استندت إلى فرضية أن على إسرائيل إقامة علاقات وثيقة مع دول المنطقة غير العربية لحماية نفسها من جيرانها العرب المعادين، إذ تشترك الدول غير العربية مثل إسرائيل وإيران وتركيا وإثيوبيا في خوفها من القوى العربية الفاعلة، الأمر الذي سهل ظهور تحالف الأطراف[9].

في هذا الإطار نظرت إيران وإسرائيل إلى العراق على أنه تهديد مشترك، مما يوفر مبررًا آخر للتعاون. بحلول الستينيات، كانت إسرائيل تدعم الأكراد العراقيين الذين يقاتلون النظام المركزي، كما اعتبرت إيران أكراد العراق كعب أخيل للنظام العراقي. وهكذا فإن الموساد والسافاك وحّدوا جهودهم لمساعدة الأكراد في كفاحهم ضد الحكومة المركزية العراقية، وتوسع التعاون بين البلدين على عدة مستويات أمنية واستخباراتية، ولم يكن تعاون إيران مع إسرائيل مبنيًّا على المخاوف المشتركة وحدها، إذ كان لدى الشاه فكرة مُبالغ فيها إلى حد ما عن النفوذ الإسرائيلي في واشنطن، وكان يعتقد أن إسرائيل يمكن أن تساعده في كسب تأييد إدارة كينيدي، التي كانت تنتقد حكمه. ورغم تصاعد الاستنكار الشعبي الإيراني لإسرائيل بعد نكسة 1967م، فإنَّ الشاه استمر في تعميق العلاقات مع الدولة اليهودية بعد أن شهد انتصار إسرائيل على الجيوش المصرية والسورية والأردنية، وأعرب عن اعتقاده بأن مكانة إسرائيل المتصاعدة ستعزز مكانة إيران بوصفها قوة إقليمية رئيسية أيضًا[10].

كما تعزز التعاون الاقتصادي بين البلدين، لا سيما في قطاع الطاقة، ووصل التعاون إلى حد تطوير أنظمة صاروخية متطورة وصفقات سرية، وهكذا أوجدت علاقة نظام الشاه المتميزة بإسرائيل والطابع العلماني للدولة الأرضية المناسبة والمحفزة لبقاء اليهود في إيران، لا سيما أن كثيرًا من اليهود الإيرانيين كانوا ينظرون إلى بلاد فارس باعتبارها ثاني أهم موطن لهم بعد إسرائيل. لكن في عام 1979م أحدثت الثورة الإسلامية تحولًا مهمًّا في علاقة طهران بتل أبيب، إذ كانت السياسة الخارجية الإيرانية بعد الثورة في البداية شديدة الحماسة والأيديولوجية. لم يرَ الثوار الإطاحة بالشاه هدفًا نهائيًّا في حد ذاته، ولكن رأوه خطوة أولى نحو «تحرير» الشرق الأوسط (الأوسع) من الهيمنة الأمريكية والصهيونية العالمية. وقد صعد الخطاب المعادي لإسرائيل ومن ثم أصبحت الأقلية اليهودية تحت ضغط غير مسبوق في ظل ولاية الفقيه.

ونتيجة للأوضاع المضطربة والمخاوف المتنامية من تزايد نفوذ رجال الدين، وشعارات العداء لإسرائيل، غادر عديد من اليهود إيران في الأشهر التي أعقبت سقوط الشاه مباشرة، وذلك نظرًا إلى أن أغلبيتهم من التجار وأصحاب رؤوس الأموال، وغالبًا ما ارتبطوا بعلاقات مع إسرائيل في عهد الشاه، فخافوا من انتقام النظام الجديد[11].

ويمكن القول إنه حتى قيام ثورة عام 1979م لم تُجبَر الأقلية اليهودية على الفرار، بما في ذلك الذين هاجروا إلى إسرائيل بين عام 1948م وعام 1979م، لكن مع اندلاع الثورة الإيرانية كانت المحاكمة الاستعراضية التعسفية والإعدام في مايو 1979م لرجل الأعمال حبيب الغانيان، أحد أغنى

الشخصيات وأكثرها نفوذًا في المجتمع اليهودي الإيراني، رميًا بالرصاص بتهم شملت اتصالات مع دولة إسرائيل والصهيونية.. بمثابة إشارة لكثير من الإيرانيين اليهود إلى ضرورة المغادرة، فبينما كان هناك 100,000 قبل الثورة الإسلامية، غادر الغالبية العظمى منهم إيران، إذ تتراوح أعداد اليهود الفارسيين الذين يعيشون في إيران من 9 آلاف إلى 20 ألف يهودي[12].

مع ذلك، وفي ظروف استثنائية، أبقت المصلحة المشتركة مطلع الثمانينيات، والممثلة في أولوية إيران في الحفاظ على الجمهورية الإسلامية، ورغبة إسرائيل في إضعاف العراق، على التعاون بين إيران وإسرائيل رغم العداء المعلن. كان من ثمرة هذا التعاون مد إيران بطائرات «فانتوم» المقاتلة وأسلحة أخرى، وكان المقابل هو سماح الخميني لأعداد كبيرة من اليهود الإيرانيين بمغادرة إيران إلى الولايات المتحدة أو إسرائيل، مع ذلك لا يقدم هذا التعاون الذي استند إلى صفقات ومصالح براغماتية مؤقتة صورة كاملة لطبيعة العلاقات بين طهران وتل أبيب بعد ثورة عام 1979م، ولا صورة واضحة لعلاقة النظام الإيراني بالأقلية اليهودية في ظل ولاية الفقيه وفي ظل العداء الذي يتصاعد ضد إسرائيل رسميًا وشعبيًا. فقد بدأ العداء يتجذر بين الجانبين مع بداية التحولات في سياسة إيران الخارجية، التي اصطدمت بطموحات إسرائيل وسياستها في المنطقة، إذ بدأ التنافس يغلب على العلاقات، فإيران بحكم مشروعها العابر للحدود أنشأت حزب الله في لبنان، الذي ظهر استجابة للاحتلال الإسرائيلي للبنان عام 1982م، وأصبح في ما بعدُ ذراع إيران الطويلة على حدود إسرائيل. وأثار تطوير إيران لبرنامج الصواريخ الباليستية قلق المؤسسات الأمنية في إسرائيل، فضلًا عن طموحات إيران النووية التي أصبحت عنوانًا رئيسيًا للعداء على مدى العقدين الماضيين، ناهيك بأن إسرائيل باتت تنظر إلى أن عديدًا من التحديات التي باتت تواجهها في المنطقة يقف خلفها النظام الإيراني وأذرعه الإقليمية. كما أن مضّي إسرائيل وبعض الحكومات العربية قدمًا في اتفاقيات سلام منذ اتفاقية السلام مع مصر عام 1979م، وما تلاها من اتفاقيات، أحدثت تغييرًا جوهريًا في أنماط العلاقات الإقليمية، التي استوجبت يومًا ما تقاربًا بين طهران وتل أبيب[13].

هكذا تغير كل شيء بالنسبة إلى الجالية اليهودية بعد قيام الجمهورية «الإسلامية» 1979م، إذ كان عدد الأقلية اليهودية في إيران قبل الثورة الإيرانية يربو على المئة ألف نسمة، ومع انطلاق الثورة الإيرانية اضطر عدد كبير من اليهود إلى هجرة الأراضي الإيرانية نحو إسرائيل، فيما فضّل البعض الآخر البقاء في إيران حتى أصبح عددهم اليوم بين عشرة آلاف وعشرين ألف نسمة. وهنا يمكن القول إنّ الثورة رافقها تغيير حقيقي في وضع يهود إيران، لسببين: يكمن الأول في الطبيعة الأيديولوجية المفضلة للأغلبية الشيعية على حساب باقي العقائد والطوائف، فيما يكمن السبب الثاني في وضعها الأيديولوجي المعادي للدولة الصهيونية، وبالتالي فإنّ هذا الوضع جعل الأقلية اليهودية في إيران في ظروف استثنائية بعد الثورة[14].

ثالثًا: مأزق الأقلية اليهودية في ظل ولاية الفقيه بين الاستيعاب والقمع والتوظيف

رغم التوجهات العدائية بين إسرائيل وإيران، التي بلغت حدّ المواجهة باتساع الإقليم والعالم ككل، فإنّ النظام الإيراني كان حريصًا على ألّا يستعدي اليهود الإيرانيين، ويجعل الأقلية اليهودية طرفًا في هذا الصراع، إذ يظهر ذلك من تقديم وجهاء اليهود الولاء للنظام الجديد، وهو ما قابله الخميني

بفتوى أصدرها بعد وقت قصير من وصوله إلى السلطة، قال فيها: «إنّ يهود إيران هم مجتمع أقلية يتمتع بالحماية الكاملة»، ونهى عن أي هجوم عليهم. ومن هنا يبدو أن النظام الإيراني أراد أن يضع حدًّا فاصلًا بين الصهيونية باعتبارها عدوًّا خبيثًا لإيران، وبين اليهود الذين لديهم وجود تاريخي يعود إلى 2500 عام قبل الميلاد، واعتبارهم جزءًا أصيلًا من مكونات المجتمع الإيراني[15].

في الوقت نفسه كانت الأقلية اليهودية التي لم تغادر إيران حريصة على ألا تُقحِم نفسها في مأزق يجعلها موضع شك واضطهاد بما يؤثر في مصالحها ومكتسباتها، بل إنّ قياداتها طورت علاقة تخادم مع النظام بحيث تعزز مكتسباتها، ووظفت إيران هذه الأقلية لصالح تحسين صورة إيران وتحقيق مصالحها في مواجهة الولايات المتحدة وإسرائيل.

من هذا المنطلق، ضَمِنَ الدستور الإيراني حقوق الأقلية اليهودية بالاعتراف بثلاث ديانات رسمية غير الإسلام، هي: «اليهودية، والمسيحية، والزرادشتية»[16]، فحصلت الأقلية اليهودية إلى جانب المسيحية والزرادشتية فقط من مجموع الأقليات في إيران على حق التمثيل النيابي في البرلمان[17]، إذ شغل اليهود في الحكومات الإيرانية المتعاقبة ضمن قائمة الكوتا «مقعدًا واحدًا» داخل البرلمان الإيراني بالانتخاب الذي حدده الدستور الإيراني[18].

على مستوى الممارسة، نجد أن الأقلية اليهودية التي بقيت في إيران تؤدي الشعائر الدينية بحرّية تامة وتعمل على بناء المعابد اليهودية وإصدار رخص إقامة الجمعيات والمؤسسات الخيرية في المدن التي يوجد فيها اليهود، خصوصًا العاصمة طهران، وهمدان، وأصفهان[19]، إذ إنه في طهران وحدها 13 معبدًا يهوديًّا نشطًا، وخمس مدارس يهودية، وروضتا أطفال، ومستشفى يهودي بسعة 100 سرير، كما توجد مجتمعات محلية نشطة في عدة مدن أخرى، بما في ذلك شيراز وأصفهان وكرمانشاه، ولها مؤسسات خاصة بها، لكن لا يمنع ذلك من الاعتراف بأن العيش باعتبارهم مواطنين محميين من الدرجة الثانية في ظل نظام إسلامي شيعي أمر معقد، حيث لا ظلم لكن هناك قيود[20].

ومقارنة بأوضاع الأقليات الاخرى نجد أن

العرب والبلوش والأكراد الإيرانيون يواجهون التمييز والقمع، ويتعرض البهائيون لعدم الاعتراف بعقيدتهم، وبالتالي لاضطهاد أكثر من أي مجموعة أخرى. حتى المسلمون السنّة، الذين يشكلون أغلبية في الشرق الأوسط وأقلية في إيران، يفتقرون إلى حقوق أقرانهم الشيعة، إذ يتجاهل النظام مشاركة أهل السنّة في الأنشطة السياسية والإدارية، ويحرمهم من تولي المناصب[21]، فضلًا عن المضايقات التي أثرت في حريتهم في العبادة والطقوس والشعائر الدينية[22]، ويتعرض مشايخهم للإهانة والاغتيال واعتقال آخرين منهم[23]. لكن خلافًا لذلك سمح النظام الإيراني لليهود ببناء دُور العبادة، بل ساعد الحرس الثوري الإيراني في استعادة كتاب توراة قديم مسروق من الأقلية اليهودية، وهو أحد المخطوطات الأقدم في العالم، وأعيد إليها في إقليم شيراز جنوبي إيران[24]، فيما لا يزال يحرم السنّة من بناء مساجد لهم في العاصمة طهران. ويقول الحاخام يهودا جيرمي إنّ «كل شيء يعمل وفق الشريعة، ودُور العبادة كلها مفتوحة، ونتمتع بحرّية عبادة»[25].

على المستوى الاجتماعي، أوضح يهود إيران أنّ وضعهم تحسَّن بعد تسلُّم حسن روحاني منصب رئيس الدولة، إذ خصص نحو 400 ألف دولار لمستشفى يهودي في طهران، كما حصلت الأقلية على حق الدية كاملًا بعدما كان في هذا الحق فوارق مادية كبيرة بين المسلمين وغيرهم من الأقليات

الأخرى[26]، كذلك فالقيادات الدينية اليهودية الذين يصرحون بالعداوة تجاه الصهيونية ودولة إسرائيل يعيشون تحت مظلة حماية الحكومة. كما حقق اليهود عددًا من الانتصارات المجتمعية الأخيرة، مثل الإذن بإغلاق المدارس اليهودية يوم السبت بدلًا من الجمعة، يوم الراحة الإسلامي[27].

لكن ذلك لا يعنى أن الأقلية اليهودية لا تعاني من تهميش وإقصاء وتحديات، خصوصًا نظرة المتشددين الأكثر تعصبًا، فعلى سبيل المثال توترت علاقة اليهود مع النظام خلال فترة أحمدي نجاد، الذي شكك في الواقع التاريخي للمحرقة خلال فترة حكمه، إذ استنكر اليهود وغيرهم في جميع أنحاء العالم تصريحاته. وكذلك فعل هارون يشاياي، الذي كان آنذاك رئيسًا للجنة اليهودية في طهران، واعتبر موريس معتمد، الذي كان يمثل الأقلية اليهودية في البرلمان الإيراني في ذلك الوقت، أن «إنكار مثل هذه المأساة التاريخية العظيمة المرتبطة بالأقلية اليهودية لا يمكن إلا أن يكون إهانة لجميع الجاليات اليهودية في العالم». والملاحظ أن الأقلية اليهودية تتحدث بصوت عالٍ حول الأشكال المتعددة للتمييز التي يعيش أعضاؤها في ظلها، ولكن دون التشكيك في شرعية النظام أو نظام الشريعة أو القانون الإسلامي الذي يحكمه.

وعلى الرغم من رفع القيود المفروضة على الهجرة فإن أولئك الذين يعيشون في إيران حريصون على عدم مغادرة إيران حتى في ظل المكافآت النقدية المقدمة من إسرائيل والتي تتراوح من 10,000 دولار للأفراد إلى 61,000 دولار للعائلات، لكن ذلك لا يعني أن النظام متساهل مع هذا السلوك، إذ إنه في عام 1998م جرى إعدام روح الله كادخوده زاده، لمساعدته اليهود على الهجرة بشكل غير قانوني. كما شددت الحكومة إجراءاتها مؤخرًا على بعض الذين يذهبون إلى إسرائيل للحد من هذه الزيارات، إذ يتعرضون للسجن والغرامة والاستجواب، إذ حُكِم على اثنين من اليهود بالسجن 91 يومًا، على الرغم من أنه جرى تخفيضها لاحقًا إلى 20 يومًا[28].

ونظرًا إلى أن الأقلية اليهودية في إيران وثيقة الصلة بعلاقة إيران بإسرائيل، فإنّ النظام من خلال عملية الاستيعاب التي قدمها لأعضائها حاول توظيفها في إطار صراعه مع الغرب وإسرائيل. في هذا الصدد يمكن الإشارة إلى محاولة النظام توظيف قيادات اليهود في إيران لتحسين صورته في الخارج، وهنا يشار إلى اصطحاب الرئيس الإيراني حسن روحاني عضو البرلمان اليهودي الوحيد في البلاد لمرافقته إلى جلسة الأمم المتحدة في نيويورك في عام 2013م، وهذا مؤشر لتوظيف الأقلية اليهودية واستغلالها لتحسين صورة إيران في محفل دولي عالمي، فضلًا عن رحلات الحاخامات اليهود الإيرانيين إلى الولايات المتحدة والغرب والحديث عن أوضاعهم بصورة إيجابية[29].

كما استغلَّ النظام الأقلية اليهودية في إطار اشتباكاته على الصعيد الدولي، إذ كلما واجهت إيران مشكلة دولية أو أزمة إقليمية ما، لجأت إلى حاخامات إيران لإسعافها للتدخل والوساطة لحلحة الأزمة وردم الهوة مع الغرب[30]، فضلًا عن دعوة المجتمع الدولي والغرب لتخفيف الضغوط عن إيران. ويُذكر أن مجموعة ضخمة من الحاخامات اليهود (340 حاخامًا) بعثت برسالة إلى جميع أعضاء الكونغرس الأمريكي، تحثهم فيها على دعم الاتفاق مع إيران لمنع التسليح النووي، بوصفه تحقيقًا لأمن أمريكا وإسرائيل، وهذا الموقف مناهض لموقف اللوبي الإسرائيلي الداعي لإسقاط الاتفاق[31].

ولعب حاخامات إيران دورًا في تحسين صورة النظام من خلال علاقاتهم بالمجتمع اليهودي في الخارج ونجحت إيران في توظيفهم في هذا الجانب، بل لم يتوان النظام عن التواصل مع اليهود

المعادين لقيام دولة إسرائيل في الخارج، وذلك في إطار محاولة نفي الاتهامات الموجهة للنظام بمعاداة اليهودية كدين بل معاداة الصهيونية كمشروع.، على سبيل المثال التقى الرئيس الإيراني أحمدي نجاد على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة مع 12 حاخامًا من جماعة «ناطوري كارتا» المناهضة لقيام دولة إسرائيل، وأشاد الحاخامات بالرئيس الإيراني، وقال المتحدث باسم الجماعة الحاخام يسرول دوفيد فيس إنّ «الرئيس نجاد ليس عدوًّا للشعب اليهودي، وعدة آلاف يعيشون في إيران دون اضطهاد»[32]، وأفصحت صحيفة «يديعوت أحرنوت» عن سفر الصحفية الإسرائيلية أورلي أزولاي إلى إيران ومكوثها بها لعدة أيام، بهدف إعداد تقارير عن مجريات الأحداث هناك، خلصت فيها إلى أن الشعب الإيراني شعب يحب اليهود، بدليل العلاقات التاريخية بين البلدين[33]، وهذا تأكيد لأهمية حاخامات إيران في تنقية تلك الأجواء.

خلاصة

تشغل بلاد فارس حيزًا مهمًّا في التاريخ اليهودي القديم، إذ يَدين اليهود بالفضل لبلاد فارس ومَلِكهم كورش في عودتهم إلى القدس واستقرارهم فيها قديمًا، كما أن إيران هي موطن لأكبر أقلية يهودية في العالم على الرغم من تراجع عددهم بعد إعلان دولة إسرائيل، وعلى الرغم من الطابع الديني لنظام الحكم الذي تقلَّد السلطة منذ عام 1979م، والذي أسهمت سياساته في هجرة عديد من اليهود سواء إلى إسرائيل أو الولايات المتحدة، حتى انخفض عدد الأقلية اليهودية في إيران بنسبة 90% على مدى الأعوام الأربعين الماضية.

ومن الواضح أن من بقي من عناصر الأقلية اليهودية في إيران حرصوا على عدم إقحام الخارج في القضايا التي تخص علاقاتها مع السلطة، وحرصوا على معالجة القضايا في إطار داخلي. ولعل هذا كان له دور مهمّ في المكتسبات التي تحققها هذه الأقلية على الرغم من حساسية موقفها في ظل التوتر المتنامي بين طهران وتل أبيب.

لكن مع أن الأقلية المتبقية في إيران من اليهود تنعم بوضع خاص في ظل نظام ولاية الفقيه، لكنهم يواجهون تحديًا في ما يتعلق بعلاقة النظام الشائكة مع إسرائيل، وعليهم طَوال الوقت أن يثبتوا أنهم غير متهمين أو متورطين في أي صلة بإسرائيل، على الرغم من أن كثيرين منهم لديهم عائلات في إسرائيل، وأن كثيرين قد زاروا إسرائيل بأنفسهم، ربما عبر دولة ثالثة. وكلما تزايد التوتر بين تل أبيب وطهران، وطالت التوترات هجمات إسرائيلية في العمق الإيراني، فإنّ الأقلية اليهودية ستتعرض لمزيد من القيود والرقابة.

وعلى الرغم من أن النظام الإيراني يحاول إظهار رشادة سياساته تجاه الأقليات الدينية من خلال تعاطيه مع الأقلية اليهودية، فإنّ هذه الأقلية لا تتمتع بحقوق المواطنة كاملة، فالباب مغلق أمام وصول أبناء الأقلية اليهودية إلى مناصب رفيعة المستوى في الوزارات الحكومية، كما أن المديرين في المدارس اليهودية لا بد أن يكونوا مسلمين، هذا فضلًا عن بعض الشكاوى من جانب الأقلية اليهودية في ما يتعلق بتطبيق الشريعة على غير المسلمين في قضايا الميراث والقصاص والدية وغيرها.

ومع كل التمييز الذي يمارسه النظام ضد اليهود في داخل إيران، ووضعهم موضع اتهام حتى يثبتوا العكس، فإنه نجح في توظيف قياداتهم من أجل ممارسة دور دبلوماسي لتحسين صورة النظام في الداخل، وإظهار حقيقة أن النظام يعادي الصهيونية ولا يعادي اليهود بصفة عامة، فضلًا عن توظيفهم لخدمة قضاياه الشائكة على الصعيد الدولي، لا سيما ما يتعلق بملف حقوق الإنسان وتبييض صورة النظام السيئة للغاية في هذا الجانب، وخدمة أهدافه في الملف النووي في دوائر السياسة الغربية، والتأثير في جماعات الضغط في الخارج لتخفيف ضغوط المؤسسات على إيران. وقد تقبل قيادات اليهود الإيرانيين لعب هذا الدور على مضض من أجل الحفاظ على البقية المتبقية من الوجود والإرث اليهودي المهدد في إيران من وجهة نظرهم، أو خوفًا من تنكيل النظام والبطش بهم.

المراجع والمصادر

(1) صفاء محمود عبد العال، يهود إيران في العصر الصفوي، رسالة المشرق، (القاهرة: جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، المجلد 34، العدد2، مارس 2019)، ص243.

(2) تي آرتي عربي، خفايا الجالية اليهودية في إيران!، 18 مايو 2016م، تاريخ الاطلاع: 16 فبراير 2023م. http://bit.ly/3S0HuHv

(3) مأمون كيوان، اليهود في إيران، (بيروت: دار بيسان للنشر، 2000م)، ص21.

(4) صفاء محمود عبد العال، يهود إيران في العصر الصفوي، مرجع سابق، ص244.

(5) صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية (1850–1950)، ترجمة: د. جمال أحمد الرفاعي، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة (197)، 1995م)، ص119–120.

(6) نذير فنصه، طهران مصير الغرب في عهد الشاه إلى جمهورية آيات الله، (باريس، 1988م)، ص45.

(7) صموئيل اتينجر، اليهود في البلدان الإسلامية، مرجع سابق، ص116.

(8) Austin Bodetti, Persian Jews and an Uneasy Peace in the Islamic Republic of Iran, Inside Arabia, (May 2020 ,15), accessed on: Feb 2023 ,25, https://bit.ly/364NJly

(9) يوسي ألفير، المحيط: بحث إسرائيل عن حلفاء في الشرق الأوسط ،(30أبريل 2015) ،تمت الزيارة في 13 أبريل 2023 ، http://bit.ly/3KVJUVO.

(10) Larry Cohler-Esses, How Iran's Jews Survive in Mullahs' World?, The Forward Association, (August 2015 ,18), accessed on: 16 Feb 2023, http://bit.ly/3K6Wth8

(11) Ibid.

(12) Austin Bodetti, Persian Jews and an Uneasy Peace in the Islamic Republic of Iran, Ibid.

(13) Dalia Dassa Kaye, Alireza Nader and Parisa Roshan, A Dangerous Rivalry, RAND Corporation, 2011, accessed on: Feb 2023 ,19, http://bit.ly/3jZ4pX3

(14) أحمد صلاح، يهود وإيرانيون: الأقلية اليهودية–الفارسية منذ الثورة في إيران وإسرائيل، الشرق الأوسط، 10 أكتوبر 2019م، تاريخ الاطلاع: 16 فبراير 2023م. https://9h.fit/ZXpLTT

(15) Johanna Afriat, Jews of Iran: a community on borrowed time, I24NEWS, (April 2022 ,13), accessed on: 16 Feb 2023, http://bit.ly/3k49ywU

(16) الدستور الإيراني، المادة 12.

(17) رانيا مكرم، طموح الأقليات ومستقبل الدولة في إيران، مجلة الدراسات الإيرانية، (الرياض: المعهد الدولي للدراسات الإيرانية: العدد السادس، السنة الثانية، 2018م)، ص42.

(18) الدستور الإيراني، المادة 64.

(19) عبد الجليل معالي، الزرادشتية في إيران.. الأصل الثقافي والتوظيف السياسي، صحيفة العرب، لندن، العدد، 17 شباط، 2016م، ص12.

(20) Larry Cohler-Esses, Ibid.

(21) موقع اليوم السابع، الكتلة السنّية في برلمان إيران تشكو وزير الداخلية.. و19 نائبا يوقعون طلب استجوابه، 27 نوفمبر 2018م، تاريخ الاطلاع: 26 فبراير، 2023م http://bit.ly/3ycZNjL

(22) إدريس لكريني، تدبير التنوع المجتمعي في إيران ووضع السنّة، في مجموعة مؤلفين، السنّة في إيران، (الإمارات: مركز المسبار للدراسات والبحوث)، ص70.

(23) رانيا مكرم، مرجع سابق، ص71.

(24) موقع قناة RT، خفايا الجالية اليهودية في إيران، مرجع سابق.

(25) قناة i24، حاخام إيران الرئيسي: «نتمتع بحرّية العبادة»، (01 يونيو 2022م)، تاريخ الاطلاع: 01 مارس 2023م، http://bit.ly/41MsEIT

(26) موقع قناة RT، خفايا الأقلية اليهودية في إيران، مرجع سابق.

(27) Larry Cohler-Esses, Ibid.

(28) Ibid.

(29) إياد جبر، يهود إيران ودورهم السياسي، البيان، 06 يوليو 2015م، تاريخ الاطلاع: 05 مارس 2023م، https://bit.ly/3ETphWL

(30) راي تقية، إيران الخفية، ترجمة: أيهم الصباغ، (الرياض: مكتبة العبيكان للنشر، 2010م)، ص276.

(31) نظير مجلي، حاخامات اليهود يبعثون برسالة إلى الكونغرس لدعم الاتفاق النووي الإيراني»، الشرق الأوسط، (19 أغسطس 2015م)، تاريخ الاطلاع: 01 مارس 2023م، http://bit.ly/3ETLX9u

(32) موقع الجزيرة الإخباري، أحمدي نجاد يلتقي حاخامات يهودًا يعارضون قيام إسرائيل، (26 سبتمبر 2008م)، تاريخ الاطلاع: 01 مارس 2023م، http://bit.ly/3YlsLbE

(33) موقع قناة عربي 21، صحفية إسرائيلية زارت إيران: شعب إيران يحب اليهود، (04 أبريل 2015م)، تاريخ الاطلاع: 02 مارس 2023م، http://bit.ly/3SRmwLB